مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 09، عدد رقم: 03، سبتمبر 2020، صص: 55- 81

تاريخ الاستلام (2020/01/02) تاريخ القبول (2020/08/27) تاريخ النشر (2020/09/30)

التضمينات الحوارية في حوار النبي موسى عليه السلام مع فرعون (نص سورة الشعراء أنموذجا)

Conversational Implications in the Dialogue of the Prophet Moses with Pharaoh, The Text of the Poets' Verse as a Model

براهمية زينة
جامعة العربي تبسي- تبسة (الجزائر)، zinabrahmia2018@gmail.com

ملخص:

تسير أغلب الدّراسات القرآنية البلاغيّة والإعجازيّة على وتيرة واحدة؛ حيث ركّزت على معالجة بناء النص القرآني وطرائق صياغته، وعملت على استنباط خصائصه البنائيّة والدّلاليّة، بهدف الوصول إلى مسار الإعجاز فيه، إلا أن الاستراتيجية التّداولية تعتبر قفزة نوعية في تناول الخطاب القرآني بالدّرس والتّحليل، غير أنها لم تلق اهتماما كبيرا من قبل الباحثين باستثناء البعد المقاصدي الذي لقي اهتماما واسعا من قبل "الشّاطبي" وغيره؛ لأنّه الأساس في استنباط الأحكام الشّرعية. ولقد أضاءت التّداولية بوسائلها وآلياتها الكثيرة كالاقتضاء والافتراض المسبق والاستلزام الحواري والحجاج والأفعال الكلامية جوانب مظلمة في نصوص كثيرة، باعتبارها استراتيجية متكاملة المستويات وعلى هذا الأساس نعتقد أنّها ستفتح لنا آفاقا جديدة في الدّراسات القرآنيّة.

المؤلف المرسل: **براهمية زينة**، الإيميل: zinabrahmia2018@gmail.com

كلمات مفتاحية: الحوار، التضمينات الحوارية، موسى، فرعون، الاقتضاء، الافتراض المسبق

Abstract:

Most of the Qur'anic and miraculous studies are proceeding on the same pace; they focused on addressing the construction of the Qur'anic text and the modalities of its drafting, aiming at eliciting its structural and semantic properties, in order to reach the path of miracles in it. However, the pragmatic strategy is considered as a quantum leap in dealing with the Qur'an discourse with study and analysis. It is seen that it did not receive much attention from researchers, with the exception of the intended dimension, which received wide attention by "Al-Shatibi" and others, because it is the basis for eliciting Sharia provisions. The pragmatism, with its many means and mechanisms, such as necessity, presupposition, dialogue entailment, argumentation, and verbal deeds has illuminated dark aspects in many texts, as an integrated- level strategy, and on this basis, we believe that it will open new horizons for us in Qur'anic studies.

Keywords:

dialogue, dialogical implications, Moses, Pharaoh, appropriate, presupposition

مقدمة:

إنّ إشكاليّة وجود الآخر ومعرفته باستنادها إلى أسس الذاتية تأخذ مكانة مهمّة في جميع الدّراسات وباعتبار "القرآن الكريم" منهج المسلم في الحياة، جعل الله منه وسيلة لإحداث التّواصل والتّحاور بصيغته الحواريّة.

حيث اعتبر القرآن الكريم الحوار قاعدته الأساس في دعوة النّاس، ودعا الخلق إلى التّعامل مع هذه الحقائق، فأكّد على هذا المبدإ بطرق عديدة، فعرض لحوار الله مع خلقه بواسطة الرّسل، وكذا مع الملائكة، ومع إبليس، رغم أنّه يمتلك - الله - القوّة أن يكون له الأمر وعليهم الطّاعة، إلا أنّ الأمر جرى على الحوار للتّنبيه على أنّه من أهمّ الأساليب اللّغويّة لارتباطه بالوظيفة التّفاعليّة التي تعتبر من أشهر وظائف اللّغة على مستوى التّواصل الإنساني.

وحديثا اهتمّت نظريّات الاتّصال بمبحث الحوار، تحليلا ودرسا وتقعيدا، وكثيرا ما استعملت مصطلحات كثيرة في هذا المبحث كالتّخاطب والتّفاعل والمحادثة، وإن كانت تتفاوت معانيها دلاليّا، إلاّ أنّها تنتمي في مجملها إلى حقل التّواصل الذي يشمل أسلوب الحوار، ويعتبر إدماج الاستراتيجية التّداولية في تحليل الحوار أمر إلزامي ذلك أنّ الحوار هو مبحث ألصق ما يكون بطبيعة الدّرس التّداولي الذي يتناول اللّغة في الاستعمال؛ إذ يشكّل الحوار من النّاحية العلميّة مجالا للتّفاعل، لتضمّنه الفعل وردّ الفعل بين المستعملين، ويعني التّفاعل في عمومه انصهار الذّوات المتكلّمة في تحقيق المرجعيّة التّداوليّة للعلامات اللّسانيّة.

وترجع أهمية التّحليل التّداولي إلى كونه يجمع بين العناصر اللّسانيّة والعناصر غير اللّسانيّة، ويهتمّ بالتّفاعل لقدرته على استيعاب عدّة اختصاصات تساهم في تشكيل ما يسمّى "باللّسانيّات التّفاعلية" ضمن "اللّسانيّات التّداوليّة" التي ساعدت نظريّاتها على معاجلة التّفاعل بين الذّوات المتكلّمة وفهم آليّاته ضمن مجال الحوار.

التّضمينات الحوارية:

يعتمد التّفاعل الحواري بين البشر على اللّغة، بما تحمله من معلومات وألفاظ، والتي تتميّز بآليّتي الإظهار والإضمار، أمّا الإظهار أو التّصريح فيمثّل الرّكيزة الأساسيّة للتّواصل الصّافي، فيما يشكّل الإضمار أو التّضمين جزءا جوهريّا من الكفاية التّواصليّة، وهو من الآليّات التّداوليّة المساهمة في التّفاعل الحواري المتعلّقة بنسق التّلميح أو الإيحاء الذي بفضله تمتلك اللّغة قدرة على تبليغ معان كثيرة بألفاظ يسيرة، يقول "محمّد نظيف": «إنّ قيمة التّضمين الحواري تكمن في إيصال المعاني بشكل غير مباشر؛ إذ تحتمل الدّوال (Les signifiants) أكثر من المعاني المباشرة في تفاعلها الخطابي (l'interaction discursive)، وبذلك يظل للتّضمين الحواري تلك القيمة الإيحائيّة والتّلميحيّة التي تصل إلى المتلقّي دون الحاجة إلى الدّوال الملائمة، بل إنّ تلك المعاني يصير لها الإسهام الأوثق في تطوّر المحيط المعرفي لكل المتواصلين.[1]

وعلى الرّغم من أنّ التّضمين يتحقّق عن طريق الإيحاء لخروجه عن نمط التّصريح؛ إلّا أنّ فاعليّته الحواريّة تطفو على المحيط المعرفي للمتواصلين.

إن المعاني الضّمنيّة بمثابة معنى ثان يضاف إلى المعنى الصّريح للقول دون أن يحلّ محلّه، وترى "ذهبيّة حمّو الحاج" أنّ التّضمين ضروري لتحقيق فعّاليّة الخطاب.[2]

من خصائص الضّمني أنّه يختبئ وراء الدّلالة الحرفيّة للقول، ملازم للبنية اللّغويّة ليس له دالّ، ومحتواه مرتبط بالمحتوى الصّريح، «لذا يعدّ من باب ذلك الموجود بالقوّة في النّصّ، يمكن استخراجه من طبيعة الوحدات المكوّنة لهذا النّصّ، أو من السّياق اللّفظي المصاحب له.»[3]

يعمل الضّمني على اجتناب الشّرح المفصّل، ويساعد على اجتناب الحشو الكثير ويستعمل عادة بهدف تمرير معلومات ومعطيات لتحقيق غايات منشودة ولا يستطيع السّامع أو القارئ أن يتوصّل إلى الضّمني ما لم يأخذ في الحسبان ما يقال بالفعل، وما يحيط به في السّياق، ذلك أنّ التّضمين وإن كان يتواصل به لابدّ أن تعرف بدايته ونهايتة، وقد سبق "غرايس" غيره إلى فرز المعاني الضّمنيّة من الصّريحة، ويتّسم مقترحه بأهمّيّة كبيرة:

1- المعاني الصّريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

أ/ المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة، مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب/ القوّة الإنجازيّة الحرفيّة: وهي القوّة الدّلاليّة المؤشّر لها بصيغة الجملة (الصّيغة الأسلوبيّة) كالاستفهام والأمر النّهي، التّوكيد، النّداء، والنّفي...الخ.

2- المعاني الضّمنيّة: وتنقسم إلى نوعين:

أ- تضمين عرفي (معاني عرفية): (Conventional implicature)

ويعني به "غرايس" ما يتضمّنه ملفوظ الخطاب من معان صرفيّة ونحويّة ومعجميّة متحصّلة من تعالق المفردات وتضامّ الكلمات، ولكنّها لا تندرج في النّسبة الخارجيّة التي تشير إليها حتى تحسب من المقول، وبعبارة أخرى إنّه المعنى الذي يدركه

المتكلّم بالكفاية اللّغويّة دون أن يكون للعقل أو لإعمال الفكر دور في ذلك؛ إنّه الوقوف عند ظاهر النّصّ في فهم دلالات مستخدمي اللّغة والتي تكون مطابقة لألفاظها أو متضمّنة فيها، ويتميّز هذا النّوع من المعنى بعدم انصياعه لشروط الصّدق ولا يتمخّض عن قواعد تخاطبيّة أو معطيات تداوليّة، بل إنّه يعود إلى المفردات المعجميّة بالعرف أو بالاتّفاق (Bgconvention) ولا يتّصف بأيّ من الخصائص التي يتميّز بها التّضمين التّخاطبي ولا يتغيّر بتغيّر السّياقات وتشمل: "الاقتضاء"، "الافتراض المسبق"، "الإضمار".

ب/ تضمين تخاطبي: (Conversational implicature) (معان سياقيّة أو حواريّة)

ويعني به "جرايس" ما يتضمّنه الخطاب من معان قارّة، لا يكشف عنها الكلام الملفوظ؛ وإنّه استنباط المستور من جوانب المنظوم ممّا لا يبيّن عنه الصّريح، وبعبارة أخرى هو استدعاء العقل لمجموع التّوقّعات التي يسيّرها المتلقّي من مقول النّصّ بالاعتماد على قواعد تخاطبيّة مخصوصة، وليس بالرّجوع إلى المعاني العرفيّة أو الاستنتاجات المنطقيّة، وتتمثّل في الاستلزام الحواري.[4]

- **أنماط التّضمين العرفي:**

إنّ التّضمين العرفي باعتباره يمثّل النّوع الأوّل من متضمّنات القول إجراء تداولي له نمطان: "الافتراض المسبق"، "الاقتضاء".

1/ الافتراض المسبق: (Pre supposition)

إنّ الأدلّة اللّسانيّة التي تتواصل بها الذّوات المتكلّمة، تتكوّن من معطيات وافتراضات معترف بها فيما بينهم تؤسّس لخلفيّة تواصليّة لتحقيق النّجاح أثناء عمليّة التّحاور؛ أي إنّ الافتراض المسبق أو المفترضات هي معان ضمنيّة تتضمّنها البنية اللّسانيّة للقول الذي يحتويها، تمثّل المعارف التي يتقاسمها المرسل والمتلقّي بحيث تضمن تواصل الخطاب وتطوّره.[5]

تعرفه "أركيوني" بقولها: « نصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي لم تكن مقررة جهرا؛ أي تلك التي لا تشكل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي

الواجب نقله إلّا أنّها تنتج تلقائيّا من صياغة القول التي تكون مدوّنة فيه بشكل جوهري بغضّ النّظر عن خصوصيّة نطاق التّعبير الأدائي»[(6)]

وتعرفه في موضع آخر «بأنّها وحدة من وحدات المحتوى التي ينبغي أن تكون صحيحة بالضرورة كي يكتسب القول الذي تنطوي عليه أحد قيم الحقيقة.»[(7)]

وهذا يؤكّد الطّبيعة اللّسانيّة للافتراض المسبق، يقول "**محمود أحمد نحلة**": « يوجّه المتكلّم حديثه إلى السّامع على أساس ممّا يفترض سلفا أنّه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: أغلق النّافذة، فالمفترض سلفا أنّ النّافذة مفتوحة وأنّ هناك مبرّرا يدعو إلى إغلاقها وأنّ المخاطب قادر على الحركة، وأنّ المتكلّم في منزلة الآمر، وكلّ ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلّم بالمخاطب من أجل ذلك كانت دراسة الافتراض السّابق مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السّابع من القرن العشرين.»[(8)]

من بين هؤلاء الباحثين "ديكرو" (Ducrot) والذي أولى اهتماما بهذا النّوع من المعاني الضّمنيّة، حتّى أنّه خصّص له كتابا بعنوان: (presupposes linguistiques)، ويعتبرها "ديكرو" جزءا من الدّلالة الحرفيّة، ما يجعلها لا تختلف عن المصرّح به، وهذا وارد في قوله:

«Le présupposé au meme titre que le posé fait partie de la signification littérale des enonces.»[(9)]

إلاّ أنّ هذا التّداخل بين المفترض والمصرّح ينهيه "شتراوس" (Strauss) الذي يعتبر من الأوائل الذين أعادوا بلورة مفهوم الافتراض المسبق.[(10)]

فالمفترضات تمثّل جزءا من البنية اللّسانيّة للقول، دلالتها مسجّلة ضمنها لا يمكن للمرسل نفيها، ولا للمتلقّي تجاهلها أو إنكارها، ليست لها أيّ علاقة بالسّياق، ينبغي أن تكون صحيحة ليصحّ القول الذي يتضمّنها، وفهمها رهين بفهم القول الذي يتضمّنها.[(11)]

إنّ قوام الافتراض المسبق معطيات بديهيّة ينطلق منها كلّ من المرسل والمتلقّي في كلّ تواصل لساني إنساني ولا يعني هذا إلغاء أهمّيته أو نفيه، «بل إنّه يعتبر القاعدة

الأساس التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكه العضوي.»[12]؛ أي إنه لا يمكن لأيّ خطاب الاستغناء عنه.

وتذكر "**أركيوني**" صفات الافتراضات المسبقة في قولها: «تتصف كذلك بأنّها أقلّ قابليّة للإدراك وأقل أهمّيّة ظاهريّا وأكثر تبطينا ممّا يجعلها محتويات مضمرة عن جدارة، ويشكّل هذا التّبطين في آن مصدر قوّتها كما أنّه يزوّدها بقدرة التّلاعب التي تذكّرنا بالقدرة المخيفة»[13]

ويذكر "**جورج يول**" أنّه من خصائص "الافتراض المسبق" أنّه لا يتغيّر بنفي الجملة، يقول: «توصف خاصّيّة الافتراض المسبق هذه عموما بالاطّراد عند النّفي (Constancy under negation)

وتعنى من حيث الأساس أنّ الافتراض المسبق لمقولة ما سيبقى ثابتا؛ أي صحيحا؛ حتّى عند نفي تلك المقولة»[14]

أي أن الافتراضات معلومات ثابتة تتضمنها الجملة لا تنتفي بانتفاء الجملة.

2- أنواع الافتراض المسبق:

يورد "**جورج يول**" أنواعا عديدة للافتراض المسبق وهي:

1- الافتراض المسبق الوجودي: (Exstential presupposition)[15]

يفترض وجود الافتراض المسبق الوجودي في تراكيب التملّك مثل قول: سيّارتك، الافتراض المسبق الوجودي: لديك سيّارة، هذا النّوع ليس حكرا على تراكيب التّملّك فحسب، بل يوجد في كلّ عبارة اسميّة، حيث يفترض وجود الكيانات المسمّاة مثل قولك:

- ملك السّويد توفّي: الافتراض المسبق الوجودي: وجود ملك للسّويد من قبل.

2- الافتراض المسبق الواقعي: [16]

إنّه في المثال التّالي: يعلم الجميع أنّ جون فاشل.

يوجد افتراض مسبق مختلف عن الافتراض المقدّم في المثال السّابق، حيث يرد الفعل "يعلم" في البنية ويعلم الجميع أنّ "س" حيث يمثّل "س" الافتراض المسبق،

ويمكن معاملة "س"، المعلومة الافتراضيّة التي تلي الفعل "يعلم" على أنّها حقيقة واقعيّة ويمكن تسميتها: "الافتراض المسبق الواقعي" (factive presupposition).

- أمثلة عن الافتراض الواقعي: [17]

أ- لم أدرك أنّه كان مريضا ⟵ الافتراض المسبق الواقعي: كان مريضا (حقيقة مرضه واقعيّة)

ب- نحن نادمون لأنّنا أخبرناه ⟵ الافتراض المسبق الواقعي: نحن نادمون (الندم حقيقة واقعية)

ج- لم يكن انصرافه المبكّر غريبا ⟵ الافتراض المسبق الواقعي: انصرف مبكّرا (انصرافه مبكرا حقيقة واقعيّة)

3- الافتراض المسبق غير الواقعي: (now factive presupposition)

يعرّفه "**جورج يول**" بأنّه الافتراض المسبق الذي تفترض عدم صحّته، يصاحب استعمال أفعال مثل: يحلم (Dream)، يتصوّر (Imagine)، ويتظاهر (Pretend).[18]

فهو افتراض مسبق يقدّم غير الواقع؛ أي إن الذي يتّبع الأفعال يحلم، يتظاهر، ... غير صحيح، مثل:[19]

أ- حلمت أنّني ثريّ ⟵ الافتراض المسبق غير الواقعي (ليس ثريا)

ب- تصوّرنا أنّنا في هاواي ⟵ الافتراض المسبق غير الواقعي (لم نكن في هاواي)

ج- يتظاهر بأنّه مريض ⟵ الافتراض المسبق غير الواقعي (ليس مريضا)

4- الافتراض المسبق المناقض للواقع:

إنّ المثال: "لو كان عندي يخت " بنية لسانيّة تخلق افتراضا مسبقا مناقضا للواقع (conter presupposition) بمعنى أنّ الذي يفترض مسبقا ليس صحيحا فحسب؛ وإنّما هو عكس الصّحيح أو مناقض للحقيقة الواقعيّة.[20]

5- الافتراض المسبق المعجمي:

يقترن الافتراض المسبق المعجمي بألفاظ معيّنة مثل: تمكّن، أقلع، بدأ، مجدّدا، فعندما تذكر أنّ شخصا ما تمكّن من إنجاز شيء ما يصبح المعنى المؤكّد أنّ

ذلك الشّخص نجح بطريقة ما، وعند قولك إن شخصا لم يتمكّن من إنجاز شيء ما، يكون المعنى المؤكّد أنّ ذلك الشّخص لم ينجح ولكن في كلتا الحالتين هنالك الافتراض المسبق (غير المؤكّد) أنّ ذلك الشّخص حاول القيام بذلك الشّيء، لذا نفسّر: "تمكّن عادة" على أنّها تؤكّد "نجح" وتفترض مسبقا "حاول" (21)

- أمثلة توضيحيّة: (22)

أ- أقلع عن التّدخين الافتراض المسبق: ← كان مدخّنا.

ب- بدأوا بالتّذمّر الافتراض المسبق: ←لم يكونوا متذمّرين من قبل.

ج- أنت متأخّر مجدّدا الافتراض المسبق: ← كنت متأخّرا من قبل.

ويفرّق "**جورج يول**" بين الافتراض المسبق الواقعي والافتراض المسبق غير الواقعي بأنّه يؤخذ استعمال تعبير معيّن على أنّه يفرض مسبقا صحّة المعلومة المذكورة بعده"(23)

مثل: أقلع عن التّدخين ← افتراض مسبق معجمي؛ لأن المفهوم غير المذكور هو أنّه كان مدخّنا.

نحن نادمون لأنّنا أخبرناه ← افتراض مسبق واقعي: نحن نادمون لأنّ النّدم حقيقة واقعيّة(24).

6- الافتراض المسبق البنيوي:

في هذا النّوع تحلّل بعض الجمل عرفيّا بشكل منتظم، باعتبار أنّها تفترض مسبقا ذلك الجزء من البنية التي افترضت صحّته ويمكننا القول أنّه بإمكان المتكلّمين استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنّها مفترضة مسبقا؛ أي مفترضة على أنّها صحيحة) وبذلك يقلبها المستمعون على أنّها صحيحة.(25)

فبعد أدوات الاستفهام متى؟ من أين؟ تكون المعلومات التي تليها مع الافتراض المسبق عادة معروفة الحال مثل: متى انصرف؟ ← يفترض مسبقا أنّه انصرف.

من أين اشتريت الدراجة؟ ← يفترض مسبقا أنّك اشتريت درّاجة.

تستعمل عادة مثل هذه الافتراضات المسبقة في غرف الاستجواب، فهي «طريقة بارعة في جعل المعلومة التي يعتقدها المتكلّم هي التي يتوجّب على المستمع تصديقها.»[26]

خلاصة الكلام أنّ الافتراض المسبق نوع من أنواع التّضمينات يمثّل معلومات ومعطيات بديهيّة مشتركة بين المرسل والمتلقّي، لا يعتمد على السّياق لكونه جزءا من البنية اللّسانيّة، فيضمن بذلك تواصل الخطاب وتطوّره، وهو عكس الاقتضاء الذي يعتمد على السّياق ويحتاج بذل جهد تفسيري، وإعمال فكر لاستخراجه.

2- الاقتضاء:

2-1- المفهوم والنشأة:

نشأ مفهوم الاقتضاء في ميدان فلسفة اللّغة العادية، وارتبط بالفيلسوف "فريجه"(freej) الذي أعطت كتاباته انطلاقة لإنتاج ضخم؛ إذ شكّل قضيّة مهمّة أفرزت بحوثا كثيرة في علمي الدّلالة والتّداوليّة، وحازت على اهتمام الفلاسفة والمناطقة واللّسانيّين، بل شغلت كذلك الباحثين في كلّ ميادين اللّسانيّات من علم الإعراب إلى التّداوليّة وعلم الدّلالة ونظريّاتها والنّحو التّوليدي.[27] وإحاطة بالمفهوم، الاقتضاء من المحتويات الضّمنيّة التي لا تشكّل مبدئيّا الموضوع الحقيقي للتّلفّظ، ينتمي إلى فئة التّضمينات ويظهر من خلال المصرّح به وبعبارة أبسط الاقتضاء من المعاني الضّمنيّة، لا ينتمي إلى البنية اللّغويّة للقول، لكن يتمّ استنتاجه من القول المتضمّن إيّاها؛ أي يحمل المقول (أو ما قيل) وهو مرسل أو أريد إرساله.[28] وجاء في القاموس الموسوعي للتّداوليّة أنّ «الاقتضاء في التّصوّر المنطقي أو الشّكلاني هو علاقة دلاليّة شبيهة بالاستلزام الدّلالي ولكنّها مختلفة عنه.»[29]

أمّا "**باتريك شارودو**" و"**دومينيك منغنو**" فيعرّفانه بأنّه «عمل أن نقتضي والمقتضيات أنماط خاصّة من المحتويات المرسومة في الملفوظات.»[30]

وفي المعجم نفسه ورد عن المؤلّفين أنّ الاقتضاء يستغني عن السّياق لاستخراجه؛ إذ لا يتغيّر بتغيّر السّياقات يقولان: «والمقتضيات مضمرات قابلة للتّعرّف عليها في الحين مهما كانت سياقات الاستعمال.»[31]

أي إن الاقتضاء لا يتغيّر بتغيّر ظروف استعمال العبارة فهو ملازم لمعاني جميع الحالات والأحوال وهذا يبيّن أنّ الاقتضاء يعتمد على العبارة لاستخراجه لا على السّياق.

والإشكال الذي تنطلق منه مقاربة حوار النبي موسى –عليه السلام- مع فرعون في هذه الورقة البحثية تبلوره عدّة تساؤلات هي:

- كيف وظّف النبي موسى عليه السلام المفترضات لحلّ النّقاش وفتح باب الحوار مع فرعون وكيف استدرجه بها؟
- هل استطاع النبي موسى جعل فرعون يقر بالحقائق على الرّغم من إنكاره باستخدام المفترضات؟
- كيف كانت مفترضاته المبثوثة في أقواله أدوات لتغيير أفكار فرعون؟
- هل كانت مفترضات ملفوظات النبي مغرضة لنشر الدّعوة، وكيف كان ذلك؟
- هل استطاع المرسل إليه فرعون أن يفهم اقتضاءات المرسل موسى عليه السلام وأن يستفيد منها؟
- هل استثمر المرسل اقتضاءات ملفوظات المرسل إليه في الدّعوة؟ وكيف تمّ ذلك؟

2- موسى عليه السّلام:

تعدّ قصّة "موسى" عليه السّلام من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، وأكثر القصص تفصيلا من جميع النّواحي، من قبل مولده - عليه السلام- إلى وقوفه أمام الأرض المقدّسة [32]

وكان تكرار القصّة في سور القرآن على طرائق ستّة وفواصل مختلفة على اتّفاق المعنى.[33] حيث يمكن تقطيع القصّة إلى مشاهد تموج بالحركة والحوار، وتزخر بالانفعالات وتتخلّلها التّوجيهات إلى مواضع العبرة من السّياق.[34]

والسّرّ في كلّ هذا أن "موسى"- عليه السّلام- من أولي العزم، وذو شريعة مستقلّة، كما أنّه أرسل إلى فئتين كانت كل منهما على جانب من العناد والقسوة والكفر؛ فئة "فرعون" الضّالّة، وفئة "بني إسرائيل".[35] وقصّة "موسى" - عليه السّلام-

تتضمّن ثلاث فترات من حياته؛ قبل النّبوّة، وخلالها مع "فرعون"، ثمّ مع قومه، والفترة الثّالثة تكفّلت سورة البقرة بتفصيلها، ونجد الفترة الثّانية من حياة "موسى" في قصّة الأعراف.[36]

- حوار نصّ سورة الشعراء:

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء16 إلى 31]

يمثّل هذا الحوار: المرحلة الثّانية من دعوة "موسى" وتشمل هذه المرحلة حوارات النّبيّ "موسى" مع "فرعون" وملئه.

1- ملفوظ - المرسل إليه- "فرعون"

أمر **الله** تعالى "**موسى**" بالتّوجّه إلى "**فرعون**" لدعوته إلى عبادة **الله** وحده، وإخلاء سبيل بني إسرائيل، ومفتتح الحوار النّبيّ "**موسى**" امتثالا لأمر ربّه، غير أنّ ملفوظ المرسَل لم يكن مباشرا؛ إذ وقع تداخل بين أمر **الله** وامتثال النّبيّ لأمره، فالظّاهر لفظا أنّ مفتتح الحوار "**فرعون**"، والأصل أنّ مفتتح الحوار "**موسى**"، فبلّغ عن ربّه ما أمر به؛ ولأنّه لم يرد ملفوظه بشكل مباشر، فلا نستطيع مقاربته، ونبدأ بردّ "فرعون" على النبي "**موسى**".

يقول "**ابن عاشور**": طوي من الكلام ذهاب "**موسى**" و"**هارون**" إلى "**فرعون**" واستئذانهما عليه وإبلاغهما ما أمرهما **الله** أنّ يقولا "**لفرعون**" إيجازا للكلام[37] ؛ أي إن التّفاعل الحواري يبدأ بردّ "**فرعون**". وهو: ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** ﴾

أ/ الافتراضات المسبقة:

اعتمادا على قول "**فرعون**" نفترض مسبقا أنّ "**موسى**" تربّى في قصر "**فرعون**" منذ ولادته، وأنّه شبّ فيهم ومكث بينهم سنوات (قال **ابن عاشور**)[38]، وقوله: "وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ" قال فيه "**ابن عاشور**": «وأراد بالفعلة قتله، وقيل وهو خبّاز **فرعون**»[39]

واعتمادا على قوله وتفسير "**ابن عاشور**" نفترض مسبقا أنّ "**موسى**"- عليه السّلام- قتل خبّاز "**فرعون**" وتكون الافتراضات كالتّالي:

الافتراض المسبق	**نوعه**
"**موسى**" تربى في قصر فرعون منذ ولادته.	واقعي
"**موسى**" شبّ بين آل فرعون ومكث عندهم من عمره سنوات.	واقعي
"**موسى**" قتل رجلا من آل فرعون.	واقعي

ب/ الاقتضاءات:

"فرعون": " وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ "

يقتضي هذا القول أنّ قتل النّفس فعلة عظيمة، وأنّ مقابلة الإحسان والتّربية بالقتل كفر بالنّعمة، أو أنّ قتل النّفس كفر بالدّين في حكم الفراعنة، أو كفر بألوهيّة "**فرعون**"، ويقتضي أيضا أنّ "**فرعون**" يهدّد "**موسى**" وتكون الاقتضاءات كالتّالي:

المقتضِي: **" وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ "**

الاقتضاء1

- المقتضَى 1: قتل النّفس فعلة عظيمة.
- المقتضَى2: مقابلة الإحسان والتّربية بالقتل كفر بالنّعمة.
- المقتضَى3: قتل النّفس كفر بالدّين في حكم الفراعنة.
- المقتضَى 4: "**موسى**" كفر بألوهيّة "**فرعون**".
- المقتضَى5: "**فرعون**" يهدّد "**موسى**".

2- ملفوظ– المرسل- "موسى" عليه السّلام:

"قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) "

يتشكّل الملفوظ من حقائق واقعيّة ومعاني موجودة يشترك فيها كل من المرسل "**موسى**" والمرسل إليه "**فرعون**" تتمثّل في قتل "**موسى**" لرجل من شيعة "**فرعون**" ثم هروبه من المدينة خائفا، أمّا الخوف كشعور فطري يعتري الإنسان فهو معنى موجود، ونبيّن هذه الافتراضات بوضوح في الجدول والمخطّط التابع له:

الافتراض المسبق	نوعه
"**موسى**" قتل رجلا.	واقعي
"**موسى**" فرّ من المدينة.	واقعي
الخوف كجبلّة طبع عليها الإنسان موجود.	وجودي
الله يصطفي من البشر رسلا	واقعي
"**فرعون**" عبّد بني إسرائيل.	واقعي

ب/ الاقتضاءات:

إنّ اعتراف "**موسى**" "**لفرعون**" بقتله النّفس يقتضي أنّه لم يخف من "**فرعون**"، وردّه بقوله: "وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ "، يقتضي أنّه نفى عن نفسه كفران النّعمة وجحود الإحسان، وقوله يقتضي أنّ قتل النّفس ضلال؛ أي جهل كما يقول "**ابن عاشور**"[40] وأنّه ضلّ رغما عنه.[41] لذلك قال: "**مِنَ الضَّالِّينَ**" ولم يقل: "أنا ضالّ"

وقوله: "**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ**" يقتضي أنّ قاتل النّفس في شريعة الفراعنة يقتصّ منه، وقوله: "فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ" يقتضي أنّ فعلته تلك حمد أثرها وأنّ **الله** غفر له، وعفا عمّا سلف ويقتضي أيضا أنّ الخطأ ليس مانعا من اصطفاء **الله**، وأنّ **الله** يجعل رسالته حيث يشاء، ويقتضي أيضا أنّ الإنسان إذا تاب يعفو **الله** عنه، وتكون له صفحة حياة جديدة، وتكون الاقتضاءات كالتّالي:

الاقتضاء 1:
- المقتضِي: "فعلتها إذا "
- المقتضَى: "**موسى**" لا يخاف "**فرعون**".
- المقتضِي: **"وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ "**

الاقتضاء 2:
- المقتضَى1: "**موسى**" ينفي عن نفسه كفران النّعمة وجحود الإحسان.
- المقتضَى2: قتل النّفس ضلال؛ أي جهل.
- المقتضَى3: "**موسى**" ضلّ رغما عن نفسه.

الاقتضاء 3:
- المقتضِي: **"فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ"**
- المقتضَى: قاتل النّفس في شريعة الفراعنة يقتصّ منه.

الاقتضاء 4:
- المقتضِي: **"فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ"**
- المقتضَى1: فعلة "**موسى**" محمود أثرها.
- المقتضَى2: **الله** غفر له، وعفا عمّا سلف منه.
- المقتضى3: الخطأ ليس مانعا من اصطفاء **الله**، إذا تبعته التّوبة.
- المقتضى4: **الله** يجعل رسالته حيث يشاء.
- المقتضى5: إذا تاب الإنسان المذنب يعفو **الله** عنه.

3- ملفوظ – المرسل إليه- "فرعون": **" وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ "**

أ/ الافتراضات المسبقة:

نفترض مسبقا أنّ "**فرعون**" لا يعرف **الله**، وأنّ "**موسى**" و"**هارون**" قالا له: "إنا رسولا رب العالمين"

وتكون الافتراضات المسبقة كالتّالي:

الافتراض المسبق	نوعه
"فرعون" لا يعرف **الله**	واقعي
"موسى" و"هارون" قالا "لفرعون "إنا رسولا رب العالمين"	واقعي

ب/ الاقتضاءات: " وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ "

يقتضي قول "**فرعون**" أنّ فكرة (**الله** الواحد)، التي ورثوها عن "**يوسف**" لما جاءهم بالبيّنات قد أضاعوها، ولم يعد لها أيّ وجود في حياتهم، وحلّت محلّها فكرة

تعدّد الآلهة، فيقتضي قوله أنّهم نسوا فكرة (الله الواحد)، وعبدوا غيره، ويكون الاقتضاء كما يلي:

المقتضِي: " **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** "

الاقتضاء { المقتضَى1: آل "فرعون" أضاعوا (فكرة **الله**) الواحد التي ورثوها عن "**يوسف**".
المقتضَى2: "فرعون" وآله لا يعبدون **الله**، ويعبدون غيره.

ملفوظ– المرسَل- "موسى" و"هارون" عليهما السّلام: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ"

يتشكّل ملفوظ الذّات المتكلّمة من جملة معطيات مشتركة بينه وبين المرسل إليه، وهي حقائق موجودة تمثّل افتراضات مسبقة وهي: وجود الربّ، وجود السّماوات، وجود الأرض، وجود خلق **الله** بين السّماوات والأرض، ونوضحها في الجدول التالي المتبوع بمخطّط توضيحي:

الافتراض المسبق	نوعه
الربّ موجود.	وجودي
السّماوات موجودة.	وجودي
الأرض موجودة.	وجودي
بين السّماوات والأرض خلق.	واقعي

ب/ الاقتضاءات: " رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ"

نوضّح الاقتضاءات في هذا الملفوظ كما يلي:

الاقتضاء {
المقتضِي: "**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**"
المقتضَي1: إثبات الإله الواحد، ونفي الألوهيّة عمّن سواه.
المقتضَي2: **الله** الواحد يعرف بآثار خلقه.
المقتضَى3: العلم بالحقائق يسمّى يقينا.
}

- ملفوظ – المرسَل- فرعون: " أَلَا تَسْتَمِعُونَ "

أ/ الافتراضات المسبقة:

الافتراض المسبق	**نوعه**
"موسى" و"هارون" عمّما الدّعوة.	واقعي
"موسى" و"هارون" خاطبا "فرعون" في مجلسه.	واقعي

الملاحظ أنّ "**فرعون**" أعرض عن خطاب "**موسى**" وحوّل خطابه إلى الملإ، وهم خاصّة مجلسه، ونفترض منه مسبقا اعتمادا على قوله أنّ "**موسى**" و"**هارون**" عمّما دعوته، أدليا بها أمام حاشية "**فرعون**"، ونفترض أنّ "**موسى**" و"**هارون**" خاطبا "**فرعون**" في مجلسه. وتكون الافتراضات كما يلي:

ب/ الاقتضاءات:

قول فرعون: "أَلَا تَسْتَمِعُونَ"

يقتضي قول "**فرعون**" "**أَلَا تَسْتَمِعُونَ**"استنكاره لقول (الإله الواحد).

الاقتضاء:
- المقتضَى: " **أَلَا تَسْتَمِعُونَ** "
- المقتضِي: الاستنكار والتّعجّب.

- ملفوظ – المرسَل- موسى وهارون: "رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ"

أ/ الافتراضات المسبقة:

نفترض مسبقا بناء على قول "موسى" أنّ الآباء الأوّلين موجودون، وقوله "رَبُّكُمْ" و"آبَائِكُمُ" بصيغة الجمع نفترض منه بشكل مسبق وجود حشد من الحاضرين، وقوله "الأَوَّلِينَ" نفترض منه أنّ الآباء مضوا وانتهوا. وتكون الافتراضات كما يلي:

الافتراض المسبق	**نوعه**
الآباء كانوا موجودين.	واقعي
الآباء مضوا وانتهوا.	واقعي
الحضور موجودون.	واقعي

ب/ الاقتضاءات: "رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ"

يقتضي من هذا القول أنّ كلّ الخلق عباد الله، وتنتفي بذلك ألوهيّة "فرعون"، وألوهيّة كلّ الآباء والأبناء. ويكون الاقتضاء كالتّالي:

الاقتضاء
- المقتضِي: **"رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ"**
- المقتضَى1: كلّ الخلق عباد الله.
- المقتضَى2: انتفاء ألوهيّة كلّ الآباء والأبناء.

7- ملفوظ– المرسَل إليه- فرعون: "إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ"

أ/ الافتراضات المسبقة:

يتضمّن ملفوظ **"فرعون"** اعترافا بنبوّة **"موسى"** وذلك في قوله: " "إِنَّ رَسُولَكُمُ"، وقوله هذا فضحه، وأكّد أن نبوة **"موسى"** مفترض مسبق مشترك بين طرفي الحوار، ونفترض أيضا أنّ الجنون كحادث يطرأ على العقل البشري موجود في العالم البشري، وتكون الافتراضات كالتّالي:

الافتراض المسبق	نوعه
"موسى" رسول الله إلى "فرعون" وحاشتيه.	واقعي
الجنون موجود في العالم البشري.	وجودي

ب/ الاقتضاءات:

"إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ"

إنّ قول **"فرعون"** يقتضي أنّه شهد **"لموسى"** بالرّسالة والاصطفاء الرّباني، ويقتضي أنّ **"فرعون"** يتهرّب من مواجهة **"موسى"** بعدما أيقن صدق حججه، وتكون الاقتضاءات كالتّالي:

الاق 1
- المقتضِي: "إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ"
- المقتضَى1: **"فرعون"** شهد **"لموسى"** بالرّسالة.
- المقتضى2: **"فرعون"** يتهرّب من مواجهة **"موسى"** بعدما أيقن الحقّ وقوّة الحجج.

- ملفوظ– المرسَل- موسى عليه السّلام: " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"

أ/ الافتراضات المسبقة:

نفترض مسبقا أنّ المشرق والمغرب كمعلمين ثابتين في الكرة الأرضيّة موجودان وأنّ بين المشرق والمغرب خلق كثير، ونوضح ذلك في الجدول:

الافتراض المسبق	نوعه
المشرق والمغرب موجودان.	وجودي
بين المشرق والمغرب خلق كثير.	واقعي

ب/ الاقتضاءات: "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"

يقتضي قول النّبيّ "**موسى**" أنّه يستدلّ على وجود **الله** بما خلق وأنّه لا يحصل ذلك إلاّ مع العاقلين.

وتكون الاقتضاءات كالتّالي: المقتضِي: "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"

المقتضَى1: يستدلّ على وجود **الله** بما خلق

المقتضَى2: لا يستدلّ على وجود **الله** بما خلق إلاّ العاقلون.

9- **ملفوظ– المرسل إليه- "فرعون": " لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** " نفترض مسبقا من قول "**فرعون**" أنّه يدّعي أنّه إله، وأنّ "**موسى**" كافر بألوهيّته، وأنّ السّجون موجودة في عهد "**فرعون**"، ونوضّحها كما يلي:

الافتراض المسبق	نوعه
"فرعون" ادّعى الألوهيّة.	واقعي
"موسى" كافر بألوهيّة "فرعون".	واقعي
السّجون موجودة عند "فرعون".	وجودي

ب/ الاقتضاءات: " لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"

يقتضي قول "**فرعون**" أنّه جحد الحقّ وأنّ عقوبة من عبد غير "**فرعون**" يسجن في حكم الفراعنة.

ويكون الاقتضاء كالتّالي:

الاق 1:
- المقتضِي: " **لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"**
- المقتضَى 1: **فرعون** جحد الحقّ وكذّب "**موسى**" - عليه السّلام-
- المقتضَى2: من عبد غير "**فرعون**" يسجن في حكم الفراعنة.

10- ملفوظ– المرسَل- "موسى" عليه السّلام: "أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ"

أ/الافتراضات المسبقة:

إنّ قول "**موسى**" - عليه السّلام- "أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ" سؤال يفترض منه مسبقا أنّ "**موسى**" لم يأت "**فرعون**" بدليل مادّي من قبل، حسب هذا الحوار.

ب/ الاقتضاءات:

"أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ" يقتضي هذا القول أنّ حجج "**موسى**" العقليّة لم تؤثّر في "**فرعون**"، وأنّ "**موسى**" مؤيّد بمعجزات حسّيّةويكون الاقتضاء كما يلي:

الاقتضاء:
- المقتضِي: "أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ"
- المقتضَى1: حجج "**موسى**" العقليّة لم تؤثّر في "**فرعون**".
- المقتضَى2: "**موسى**" مؤيّد بمعجزات حسّيّة.

11- ملفوظ– المرسل إليه- فرعون:

مظ11: " فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"

أ/ الافتراضات المسبقة:

يفترض مسبقا أنّ الصّدق موجود وله علاماته

الافتراض المسبق	نوعه
الصدق موجود في عالم البشر وله علامات	وجودي

ب/ الاقتضاءات:

"فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"

يقتضي قول "**فرعون**" أنّه يكذّب "**موسى**" ويتحدّاه، ويكون الاقتضاء كالتّالي:

المقتضِي: " فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"

المقتضَى1: "**فرعون**" يكذّب "**موسى**".

المقتضَى2: "**فرعون**" يتحدّى "**موسى**".

خلاصة القراءة:

❖ **دعوة موسى: - مفترضات واقتضاءات الملفوظات بين الذّكاء والقوة؛ وتثبيت الإيمان:**

تنطلق بداية الحوار بملفوظات **"فرعون"** الغنيّة بالمفترضات التي تتركّز حول نشأة "**موسى**"، والملاحظ فيها ذكاء "**فرعون**" اتّخذها موضوعا أساسيّا للحوار بينه وبين "**موسى**" تهرّبا من دعوته، فهو لم يعرض عنه، بل تفاعل معه حواريّا؛ لكن بعيدا عن الدّعوة، إلّا أنّ "**موسى**" أشدّ ذكاء وحنكة من "**فرعون**"؛ إذ استغلّ تهرّبه من الموضوع الأساس فاستعمل مفترضات الموضوع الذي تهرّب إليه ضدّه وأخذ منه افتراضات تفضحه كقوله: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" فمفترض النّعمة الذي يظنّه "**فرعون**" ما هو في الأصل إلّا مفترض استعباد بني إسرائيل، فقلب "**موسى**" بذكائه مفترضات فرعون حججا ضدّه، ثمّ يذهب الحوار مذهبا ثانيا ويعتبر قول" **فرعون**": " **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** " نقطة تحوّل في مساره؛ إذ لم يجد "فرعون" إلّا أن يرجع إلى الموضوع الأساس لفشله بالطّريقة الأولى، والملاحظ على هذه المرحلة من الحوار تراجع مفترضات القول في ملفوظ "**فرعون**" وتزايدها في ملفوظ "**موسى**"؛ إذ مرّة أخرى يستغلّ النبي "**موسى**" تردّد "**فرعون**" وإعراضه عن خطابه إلى خطاب حاشيته لما لم يجد ما يدفع به حجج "**موسى**"-عليه السّلام- فزاد في عدد المفترضات مبرزا من خلالها حقائق يدعوه إلى التّسليم بها؛ فمثلا ربط مفترض السّماوات والأرض وخلقهما (الحسّي الملموس) بمفترض وجود **الله** (الغيبي) داعيا إلى التّسليم به، وربط

مفترض الآباء الأوّلين والمشرق والمغرب بمفترض وجود **الله** ليربط لهم بين فكرة الموت التي يوحي بها غياب الآباء وفكرة العظمة التي يوحي بها بعد المشرق والمغرب وما بينهما لتتّضح لهم صورة جديدة قصدها "موسى"- عليه السّلام- تتأتّى من الجمع بين النّقيضين الموت/ العظمة، فالموت يعني الضّعف ولا يمكن البتّة لمن يناله الضّعف والموت أن يكون خالقا للعظيم، وهو ذكاء منه عظيم؛ إذ أبطل بشكل غير مباشر ألوهيّة **فرعون** وألوهيّة آبائه؛ لأنّهم كانوا يعتقدون فيهم الرّبوبيّة، وتنتهي ملفوظات "**فرعون**" قائمة على مفترض السّجن، ما يدلّ على نجاح المرسل "**موسى**" - عليه السّلام- في حصر عدد كبير من المفترضات أفحمته؛ إذ لولا الفشل في المواجهة لما هدّده بالسّجن.

وعلى جانب الاقتضاء الذي يفتح المجال لتنوع الأقوال في سياق الخطاب المقامي، ويعتبر استراتيجية ذكيّة للتّلميح والظّاهر في حوار "**موسى**" و"فرعون" كثرة الاقتضاءات، ما يدلّ على ذكاء الطّرفين والقدرة التّواصلية العالية لهما غير أنّ اقتضاءات "**موسى**" أكثر بشكل دالّ على شدّة الذّكاء والقدرة التّواصليّة العالية، وقد اعتمدها "**موسى**" ليدفع "**بفرعون**" إلى الحسابات التّأويليّة رغبة منه في جعله عنصرا فعّالا في التّفاعل الحواري، وقادرا على الاستنتاج والوصول إلى الأحكام المنطقيّة بنفسه، وهذا ذكاء منه، إذ لاحظ دهاء المرسل إليه فاختار استراتيجيّة التّلميح الأكثر إقناعا من التّصريح لأنّ المقصود بالإقناع هو من يؤول ويصل إلى الأحكام بنفسه، وقد لمح "**موسى**" بآليّة الاقتضاء أنّه لا يخاف "فرعون"، وأنّه ليس كافرا للنّعمة، وليس ضالاّ، وأن **الله** غفر له، كما استفدنا معلومات كثيرة من استعماله لتقنية الاقتضاء، وتعتبر أحكاما ثابتة مثل: قتل النّفس ضلال، الخطأ ليس مانعا من اصطفاء **الله**، **الله** يجعل رسالته حيث يشاء، إذا تاب المذنب عفا **الله** عنه.

كما أخذنا من ملفوظات "**فرعون**" اقتضاءات استثمرها المرسل "**موسى**" في دعوته؛ إذ تفضح افتراءاتهم مثل قوله: " إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ"، فيه اقتضاء يفضح "**فرعون**"، ويؤكّد نبوّة "**موسى**" وتتّضح من ملفوظاته أيضا أنّه استعبد النّاس وصيّر نفسه إلاها باستخدام سياسة التّرهيب المتمثّلة في السّجن،

وذلك يؤكدّه قوله: "لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"الذي يقتضي أنّ من عبد غير "**فرعون**" يسجن في شريعته؛ أي إن اقتضاءات ملفوظاته فضحته؛ إذ أثبت نبوّة "**موسى**" لما قال: "رَسُولَكُم"، وفضحت سياسة الاستعباد بالترهيب.

خاتمة:

إن المفترضات باعتبارها جزءا من مرجعيّة الحوار المرتبطة بمنطقيّة البناء اللّغوي، تمثّل البعد التّلميحي للخطاب، ولهذا البعد أثر بالغ في العمليّة الحواريّة، وفي تغيير المعتقدات وممارسة فعل الاقتناع من دون سلطة ظاهرة؛ أي إنها تقنيات حجاجيّة تدير الحوار داخل النّفوس، ونلاحظ من خلال دراسة المفترضات في هذا الحوار أنه:

- تدرّج في استعمال المفترضات بشكل يوحي بالمنطقية في التّعامل مع النّفس البشريّة من أجل إقناعها، حيث إنه كان واعيا بفكرة عدم إعطاء معلومات دفعة واحدة إذا كان المخاطب خالي الذّهن وكان الأمر مرتبطا بهدف تغيير اعتقاد وإزالة الجحود والإنكار.

- شكل انفتاح الحوار بين النبي "**موسى**" عليه السلام نقطة اشتراك المفترضات في الغالب بين طرفي الحوار، غير أن المرسَل عمد إلى زيادتها وتوسيعها على مستوى الملفوضات اللاّحقة لتمرير أفكار الدّعوة.

- انطلق النبي "**موسى**" من مفترضات مبثوثة في ملفوظات فرعون ما يعني أنّه يحاول أن يكون أقرب بشكل أكثر إليه وأنّه لم يأت بالجديد، بل أصل دعوته بديهيّات ومسلّمات أضاعها البشر في حقب زمنيّة متعدّدة.

- المفترضات في ملفوظات النبي "**موسى**" قويّة، منتقاة، مقصودة لذاتها، تثير الاهتمام، تعمل على الإقناع، استعملها بشكل ذكيّ، حيث تهيّئ الجوّ للعرض والدّخول في الحوار.

- المفترضات في ملفوظات النبي "**موسى**" حقائق ومعلومات صادقة، تعتبر أساسا للتّفسير.

- نلاحظ أنّ افتراض "**الله** موجود" غائب في ملفوظات "فرعون"، وهذا يعني أن "فرعون" كانت لديهم فكرة مفادها تعدّد الآلهة في السّماء، كل إلاه يتفرّغ لعمل ما وفكرة **الله** الواحد غائبة عنه وعن قومه.

- ملفوظات النبي "**موسى**" ثريّة بالاقتضاءات ما يدلّ على الكفاءة التّواصلية والقدرة البلاغية العالية له، واتّساع القول لدلالات مختلفة دال على رقي الملكة اللغوية..
- اقتضاءات ملفوظات النبي "**موسى**" قويّة؛ لأنّها تقف في وجه أحكام وعادات مترسّخة في ذهن "**فرعون**".
- اقتضاءات ملفوظات النبي "**موسى**" أحكام وجيهة وتشريعات إلاهيّة سمحة، يقوّم بها نفس "**فرعون**" الفاسدة.
- الاقتضاءات في ملفوظات النبي "موسى" مقصودة لذاتها عوّل عليها لدفع "فرعون" إلى التّوصّل إلى الأحكام بنفسه.

مراجع البحث وإحالاته:

(1) الحوار وخصائص التّفاعل التواصلي - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية-: محمّد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص 165.

(2)لسانيات التلفظ وتداوليّة الخطاب: ذهبيّة حمّو الحاج، دار الأمل، الجزائر، (د.ط)، (د.س)، ص 178.

(3)الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري، طبيعة المعنى المضمر-: عيسى عسّو أزاييط، ج01، عالم الكتب الحديث، الأردن/ جدار للكتاب العالمي، بيروت، ط01، 2012، ص 114.

(4) اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري-: أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2010، ص 25، وينظر أيضا: التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي-: مسعود صحراوي، ص 46/45 ودلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند جرايس: وليد حسين، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص 06-07.

(5)La linguistique littéraire: arzadDutard (f), Armand colin, Paris, 1998, P 76.

(6) المضمر: كاترين أركيوني، تر: ريتا خاطر، المنظّمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 48

(7) المرجع نفسه، ص 52

(8) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، ص 27/26.

(9)Dire ne pas dire: Ducrot, ilomann, Paris, 1972, PP 22/24.

(10) المضمر: كاترين كربرات أركيوني، ص 46

(11)Ibid, p 07.

(12) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ذهبيّة حمّو الحاجّ، ص 179.

(13) المضمر: كاترين كربراتأركيوني، ص 46

(14) التداولية: جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون/ دار الأمان، الرباط، ط01، 2010، ص 53

(15) المرجع نفسه، ص 54.

(16) التّداولية: جورج يول، المرجع السابق، ص 54.

(17) المرجع نفسه، ص 54.

(18) نفسه، ص 57.

(19) نفسه، ص 57.

(20)نفسه، ص 57.

(21) نفسه، ص 55.

(22) نفسه، ص 55.

(23) التّداولية: جورج يول، ص 55.

(24) المرجع نفسه، ص 55.

(25) نفسه، ص 56.

(26) نفسه، ص 56.

(27) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلار وآن ريبول، ص 237، واللّسانيّات الوظيفيّة- مدخل نظري-: أحمد المتوكّل، ص 21.

(28) الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الاجتماعي (من التجريد إلى التوليد) طبيعة المعنى المضمر-: عيسى عسّو أزاييط، ج01، ص 154.

(29) المرجع السابق، ص 240.

(30) معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك، تر: عبد القادر المهيري، وحماد صمود، دار سيناترا، تونس، 2008، ص 455.

(31) المرجع نفسه، ص 248.

(32) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص 139.

(33)إعجاز القرآن: الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط03، 1971، ص 110.

(34)في ظلال القرآن: سيد قطب، ج03، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط05، (د.س)، ص 595.

(35) قصص القرآن: فضل حسن عبّاس، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010، ص 479.

(36)دراسات فنية في قصص القرآن: محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط01، 1989، ص 151.

(37) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج19، ص 112.

(38) المرجع نفسه، ج19 ص 112.

(39) نفسه، ج19، ص 114.

(40) التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج19، ص 112.

(41) تفسير الشعراوي: الشعراوي، ج17، ص 10554.

قائمة المصادروالمراجع:

1- الحوار وخصائص التّفاعل التواصلي - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية-: محمّد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010.

2- لسانيات التلفظ وتداوليّة الخطاب: ذهبيّة حمّو الحاج، دار الأمل، الجزائر، (د.ط)، (د.س).

3- الخطاب اللساني العربي- هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، طبيعة المعنى المضمر-: عيسى عسّو أزاييط، ج01، عالم الكتب الحديث، الأردن/ جدار للكتاب العالمي، بيروت، ط01، 2012.

4- اللسانيات الوظيفية - مدخل نظري-: أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2010.

5- التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-: مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005..

6- دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند جرايس: وليد حسين، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.

7 - La linguistique littéraire: arzadDutard (f), Armand colin, Paris, 19987.

8- المضمر: كاترين كربرات أركيوني، تر: ريتا خاطر، المنظّمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008

9- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة.

10- Dire ne pas dire: Ducrot, ilomann, Paris, 1972.

11- التداولية: جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون/ دار الأمان، الرباط، ط01، 2010.

12- القاموس الموسوعي للتّداوليّة: جاك موشلار وآن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، (د.ط)، 2010.

13- معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، 2008.

14- التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، 1959، ص 139.

15- إعجاز القرآن: الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط03، 1971، ص 110.

16- في ظلال القرآن: سيد قطب، ج03، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط05، (د.س)،

17- قصص القرآن: فضل حسن عبّاس، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010.

18- دراسات فنية في قصص القرآن: محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط01، 1989.

19- التّحرير والتّنوير: ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور)، الدار التونسيّة، (د.ط)، 1984..

20- تفسير الشّعراوي: الشّعراوي (محمد متولّي الشّعراوي)، (د.ط)، (د.س).